أسامة حمدان

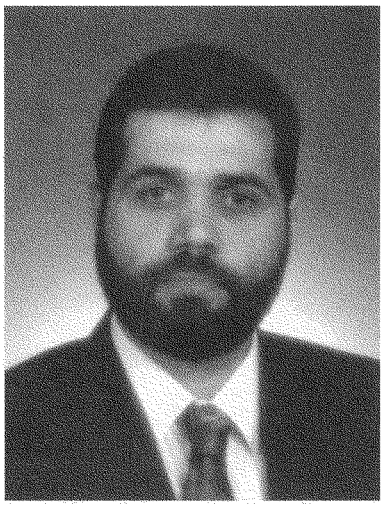

ممثّل حركة المقاومة الإسلاميّة (حماس) في لبنان.

١ ـ عن أهميّة المقاومة المسلّحة للنضال الفلسطينيّ:

تَكْمن أهميّةُ المقاومة بشكل عامّ في المحافظة على شرعيّة الحقوق كمرحلة أولى، على طريق استعادة هذه الحقوق في مرحلة تالية، خاصةً أنّ المحتلّ العسكريّ بالقوّة لا يُمْكن أن يتراجع إلاّ أمام الأسلوب ذاته. أمّا بالنسبة إلى القضيّة الفلسطينيّة تحديدًا فمن المؤكّد، بعد تجربة الشعب الفلسطينيّ الطويلة، ولاسيّما تجربتُه مع التسوية، أنّ المقاومة هي الخيار الوحيد لتحرير فلسطين.

ونستطيع القول إنّ المقاومة في فلسطين في هذه المرحلة تحقّق الأهدافَ التاليةَ:

أ ـ استمرار المحافظة على الحقوق الفلسطينيّة التي يَعْصف بها كلَّ يومٍ الخللُ في موازين القوى في المنطقة والعالم.

ب ـ الدفاع عن الشعب الفلسطينيّ في وجه آلة البطش والإرهاب الصهيونيّ.

ج ـ وقْف مسلسلِ التنازلات الذي انطلق منذ مؤتمر التسوية في مدريد ومازال يتواصل.

د ـ إرسال رسالة واضحة إلى المحتلّ الصهيونيّ مؤدّاها أنْ لا استقرارَ له ولا أمنَ ما دام الاحتلالُ قائمًا، وأنّ هزيمة الشعب الفلسطينيّ غيرُ واردة.

٢ ـ عن أضرار الكفاح المسلّح على الفلسطينيّين:

الهويّة الوطنيّة الفلسطينيّة كانت ولا شكّ قائمةً في إطار صيغة مجتمعيّة. لكنّ تطوير هذه الهويّة المجتمعيّة لتتحوّل إلى هويّةٍ وطنيّةٍ سياسيّةٍ كان لا بدّ أن يتمّ إمّا من خلال قيام دولة فلسطينيّة، أو من خلال الدفاع عن هذا الحقّ والعمل على تحرير الوطن ـ وهنا تَكْمن أهميّةُ المقاومة المسلّحة في تشكيل هذه الهويّة الوطنيّة السياسيّة.

أمّا الحديثُ عن صورةٍ مشوّهة للفلسطينيّين قدّمها إعلامٌ موجّهٌ ضدّ الشعب الفلسطينيّ فلا يَعْني التراجُعَ عن المقاومة، بل يَعْني أنّ علينا تدارُكَ الخلل الذي وقع فيما مضى عبر تطوير أساليب التعامل العربيّ والفلسطينيّ مع الإعلام، ومن خلال إيجاد آليّةٍ إعلامٍ قادرةٍ ومواكِبةٍ للتطوُّرات من أجل تقديم صورة العدوان والاحتلال الصهيونيّ الحقيقيّ ـ وهو الأمر الكفيل بالدفاع عن المقاومة، بل وبدعمها أيضًا.

استخدامُ السلاح في حلّ الخلافات الفلسطينيّة الداخليّة كان بلا شك أمرًا سلبيّاً. وهنا لا بدّ أن نؤكّد أنّ الذي تمّ استخدامُه هو السلاح لا المقاومة؛ وهذا ناتج عن أسباب عديدة لسنا بصدد تعدادها. لكنّ المهمّ أنّ المقاومة كانت عاملَ توحيدٍ للشعب الفلسطينيّ. وما يجري اليومَ على أرض فلسطين خيرُ مثال على ذلك. غير أنّ الاندفاع باتّجاه العدوّ الصهيونيّ لتقديم تنازلات، وشعورَ البعض أنّه معنيٌّ بفرض توجُّهاته وقراره على الآخرين بالقوّة، هما اللذان دفعا دومًا لاستخدام السلاح الفلسطينيّ لقتل الفلسطينيّ.

٣ ـ عن أثر البُعْد الأخلاقيّ على السياسيّ:

المقاومة في حدّ ذاتها عملٌ أخلاقيٌّ رفيعُ المستوى: فهي تضحيةٌ فرديّةٌ وجماعيّةٌ (على مستوى مجموع الشعب الفلسطينيّ) من أجل تحرير الأرض واستعادةِ الحقوق: وليس أعظم من التضحية في سبيل مصلحةٍ وطنيّةٍ عليا.

ويجب هنا ألاّ نضع أنفسَنا في موقع المقارنة بين الدور السياسيّ المفيد دومًا والمهمّ حتمًا للمقاومة، وما يُمْكن أن يثار عن أبعادٍ لاأخلاقيّةٍ محتملة. فنحن بذلك نضيّع حقيقةَ أهميّة دور المقاومة أمام وَهْم الأبعاد غير الأخلاقيّة، ثم نقارن بينهما ونتخذ حُكْمًا ضدّ حقيقة لأنّ الوهم لا يُمْكن أن تكون عليه أيُّ انعكاسات. ما أودّ التأكيدَ عليه هو أنّ البعد الأخلاقيّ الوحيد لميزان المعركة هو وجودُ عدوانٍ واحتلالٍ مجرمٍ يواجهه فعلٌ أخلاقيٌّ نبيل ـ وأعني به المقاومةَ.

٤ ـ عن إمكانيّة المقاومة المسلّحة اليوم، وفعّاليّة الانتفاضة الأولى:

المقاومة ممكنة في ظلّ أيّ ظرف. ومهما ساءت الظروفُ الدوليّةُ فإنّ إمكانات استمرار المقاومة والإبداع في اجتراح وسائل جديدة لها أمرٌ ممكنٌ بلا شكّ. وأمّا وقفُها فيَعْني استسلامًا أمام العدوّ، وموافقةً على خلق أوضاع جديدة تطال الحقوقَ الفلسطينيّةَ وقد تضيّعها. والمواصلةُ في المقاومة المسلّحة لا تعني استخدامَ السلاح فقط، بل من الواجب استخدامُ كلّ وسائل المقاومة الشعبيّة غير المسلّحة ضدّ الاحتلال: ذلك أنّ التكتيكات المختلفة هي في الواقع الوجهُ الآخرُ للمقاومة المسلّحة وتكاملُ هذه الأدوار يقود إلى التحرير.

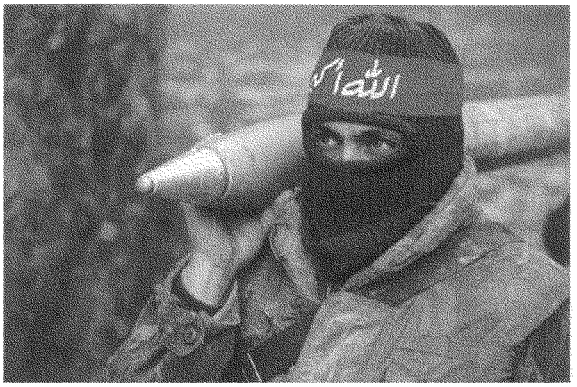

«إنّ المقاومة يمكن أن تبني توازن رعب مع العدوّ...» : مقاتل من حزب الله

والقيمةُ الأساس لاستمرار المقاومة اليوم في ظلّ أحاديّة قطبيّة عالميّة هي أنّها تُرسل رسالةً واضحةً للأمّة أنّ بإمكانها أن تَسْعى لتحقيق أهدافها وأنّها ليست مضطرّة إلى الاستسلام وتضييعِ الحقوق.

٥ ـ عمّا إذا كانت المقاومة المسلّحة ردّ فعل، وما هي البدائل:

المقاومة الفلسطينيّة لا يُمْكن وصفُها بأنّها ردةُ فعل على عمليّات إسرائيليّة وحشيّة، بل إنّ المسألة ببساطة يمكن توصيفُها كما يلي: المقاومة استمرّت طوال السنوات الماضية رغم مسيرة التسوية. لكنّ انطلاقة الانتفاضة كفعل شعبيّ جماهيريّ دَفَع باتّجاه إعطاء الفرصة للفعل الشعبيّ ليأخذ دورَه، وصولاً إلى مرحلة لاحقة تحقّقتْ ـ وأَعْني بها أن تسير المقاومةُ المسلّحةُ والانتفاضةُ الشعبيّة جنبًا إلى جنب. وكان لا بدّ في ظلّ المعادلة أن تضاف إلى مهامّ المقاومة مهمّةٌ جديدةٌ تمثّلتْ في حماية الشعب الفلسطينيّ من البطش الصهيونيّ الذي بلغ حدّاً عبّرتم عنه بكلمة «السَّحْق.» وأعتقد أنّ الموقف العالميّ تجاه ما يَفْعله العدوُّ يتّسم بالنفاق: فهو يراقب ما يجري ويَكْتفي بإطلاق تصريحاتِ التعبير عن الأسف دون أن يقوم بأيّ فعل، في حين يتّخذ خطواتٍ عديدةً لحصار الشعب الفلسطينيّ ومحاولة انتزاع أدوات القوّة من يده ـ وأَعْني بالذات إرادةَ المقاومة.

أعتقد أنّ السلوك الطبيعيّ في مواجهة الاحتلال كان وسيَبْقى المقاومة. وهذا سلوكٌ إنسانيٌّ طبيعيٌّ: وأيُّ شعبٍ يَسْعى للتخلُّص من الاحتلال عليه أن يقاوم بكافة الأشكال والوسائل الممكنة وفي مقدّمتها المقاومة المسلّحة. ولا خيار لمن يرغب في الحريّة سوى ذلك.

٦ ـ عن تأثير المقاومة المسلّحة في إسرائيل:

كلّ النماذج أو الأمثلة التي وردتْ في السؤال من الجائز أن تكون نتائجَ لعمليّة المقاومة. والمقاومة، شأنها شأن أيّ فعلٍ آخر، ستكون لها نتائجُها المباشرةُ على العدوّ وعلى مَنْ يَدْعمه، وعلى المجتمع المقاوم وعلى مَنْ يقف إلى جانبه.

نحن نَعْتقد أنّ الهزيمة العسكريّة للاحتلال هي منتهى الآمال بالنسبة إلى المقاومة، وتَعْني مباشرةً أنّ المقاومة دخلتْ مرحلةَ النصر. ولكي نصل إلى هذه المرحلة فإنّ للمقاومة نتائجَ عديدةً تبدأ من القضاء على النظريّة الأمنيّة التي قام عليها الكيانُ الصهيونيُّ، مرورًا بانعكاسات المقاومة على أوضاع العدوّ السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، وهي في الوقت ذاته وسيلةُ استنهاضٍ للأمّة في مواجهة المخاطر المُحْدقة بها.

أمّا على صعيد الأطراف الداعمة للعدوّ فالمقاومة ببساطة ستَدْفع بهم إلى إعادة النظر في ميزان المصالح الخاصة بهم في المنطقة: فمصالحهم مرتبطة بالقبول الشعبيّ والرسميّ لها في المنطقة، وهذا لا يُمْكن أن يتحقق ما لم تتغيَّر المواقفُ السياسيّةُ لهذه الأطراف تجاه الحقوق الفلسطينيّة والعربيّة.

أمّا الحديث عن تكتّل قوى اليمين الصهيونيّ وتوحيد الجمهور الإسرائيليّ بعد عمليّات المقاومة المسلّحة، فالسؤال هنا: متى لم يكن هذا الكيانُ موحّدًا ضدّنا كشعب فلسطينيّ؟ ومتى لم يكن إرهابيّاً ضدّ شعبنا؟ لقد تكتّلَ هذا العدوُّ وراء كلّ رئيس حكومة صهيونيّ استخدَمَ القوّةَ والإرهابَ ضدّ شعبنا وأمّتنا. وهذا هو سرُّ تكتُّله وراء حزب العمل في حروبه عام ٦٧ و٧٣، ووراء حكومة الليكود عام ١٩٨٢، ووراء حكومة رابين إبّان الانتفاضة الماضية. وهكذا سقط بيريز لأنّه فَشِلَ في إنهاء حزب اللّه إبّان حملة عناقيد الغضب عام ١٩٩٦، وفَشِلَ في احتواء العمل المقاوم بعد اغتيال المهندس عيّاش. وسقط باراك لأنّه أرسل بسلوكه رسالةً مفادُها أنّه غيرُ قادر على القمع والبطش كما يتعطّش هذا الكيان. وهذا هو أيضًا سرّ تكتُّل الكيان وراء شارون الآن.

٧ ـ عن نموذج حزب اللّه:

القيمة الأهمّ في تجربة وإنجاز حزب اللّه في لبنان هي العِبْرة: العِبْرة التي تقول إنّ المقاومة يمكن أن تَبْني توازنَ رعبٍ مع العدوّ، ويُمْكن أن تَجْمع الشعبَ والأمّة. وليس شرطًا أن يتمّ تطبيقُ النموذج كما هو، بل المهمّ استلهامُ العبرةِ منه. وأعتقد أنّ المقاومة في فلسطين تسير باتّجاه بناء معادلة مقاومة تَحْكم العلاقةَ مع العدوّ وتودّي إلى تغييرٍ مهمٍّ في مسيرة الصراع معه.

٨ ـ عن فعّاليّة الهجوم على المستوطنين:

كلُّ أعمال المقاومة ذاتُ أثرٍ فعّالٍ على طريق التحرير، لأنّها تؤكّد للعدوّ الصهيونيّ أنّ استمرار الاحتلال لن يكون ممكنًا، وأنّ الثمن سيكون باهظًا على العدوّ. وهي لا تُضْعف رغبةَ العدوّ في استمرار

الاحتلال فحسب، بل تَدْفعه أيضًا في اتّجاه التفكير في ما إذا كان وجودُه محتلاً عملاً صائبًا أم لا. وهي تَعْني بالضرورة أنّ الاستمرار في مسيرة الاحتلال ستؤدّي إلى نتائج عكسيّة لما أراده مَنْ صَنَعَ مشروعَ الاحتلال ومَنْ جاء إلى فلسطين مشاركًا فيه.

٩ ـ عن المسرح الملائم للمقاومة المسلّحة:

نعتقد أنّ كلّ أرض فلسطين هي ساحةُ عمليّاتٍ ضدّ العدوّ، خاصة أنّنا ما زلنا نؤْمن أنّ حيفا ويافا وعكّا والناصرة وصفد هي أرضٌ فلسطينيّةٌ تمامًا كنابلس ورام اللّه والخليل وطولكرم ورفح وغزّة.

وأحبّ هنا أن أشير إلى أنّه من الخطإ الاعتقاد بوجود مدنيّين في الكيان الصهيونيّ. ذلك أنّ كلّ صهيونيّ هو جنديّ، منذ بلوغه الثامنةَ عشرةَ وبقائه جنديًّ احتياط حتى بلوغه الخامسة والخمسين من عمره، ذكرًا كان أم أنثى. علاوةً على ذلك، فإنّ مجرّد أن يَتْرُكَ شخصٌ ما وطنًا وُلِدَ وعاش فيه ومازال يَحْمل جنسيّتَه، ويأتيَ إلى فلسطين مشاركًا في الاحتلال، إنّ مجرّد هذا يَجْعله مشاركًا في عمل حربيّ عدوانيّ ضدّ شعبنا. كذلك من الواضح أنّ العدوّ حكومةً وجمهورًا لم يُبْدِ حتّى الآن أيّ رغبة حقيقيّة في السلام. ولا يُمْكن أن نستمرّ في عرض السلام ونحن نُقْتل في كلّ لحظة.

ولهذا فعمليّاتُنا الجهاديّة تطال عسكريّين مقاتلين، سواء لبسوا الزيّ العسكريّ أو المدنيّ. أمّا قيامُنا بعمليّات ردّاً على جرائم صهيونيّة ضدّ شعبنا فهذا أمرٌ طبيعيٌّ للدفاع عنه، ومن باب ردّ الاعتداء والعدوان.

١٠ ـ عن دور الرأي العامّ العالميّ:

الرأي العامّ العالميّ مهمّ لخدمة القضيّة والأهداف الوطنيّة الفلسطينيّة. والكفاحُ المسلّح، والمقاومة بشكل عامّ، وسيلة مهمّة للتأثير في الرأي العامّ العالميّ. لكنْ لا بدّ أن نفرّق بين أمْرَيْن يَحْدث بينهما خلطٌ مقصودٌ أحيانًا: فهناك فرقٌ بين الرأي العامّ العالميّ والإرادة السياسيّة العالميّة. من الواضح أنّ الرأي العامّ العالميّ تعاطَفَ كثيرًا مع نضال الشعب الفلسطينيّ وقضيّته، لكنّ الإرادة السياسيّة العالميّة كانت دومًا إلى جانب العدوّ أو عاجزةً في الحدّ الأدنى عن الدفاع عن شعبنا ونصرتِه والضغطِ على الكيان الصهيونيّ لاستعادة حقوق شعبنا.

والمؤسف أنّ البعض، في محاولته الخضوعَ لإرادة العدوّ الصهيونيّ، وبسبب انعدام إرادته في قول الحقيقة في وجه الإرادة السياسيّة العالميّة، يحاول أن يَخْلط بينهما ويسمي خضوعَه وضعفَه «مراعاةً للرأي العامّ العالميّ.» وأحبّ هنا أن أوضّحَ أنّ الرأي العامّ العالميّ يحبّ أن يرى الشعبَ الفلسطينيّ مدافعًا عن نفسه ضدّ الظلم، لا أن يراه مظلومًا مقتولاً فحسب.

ممّا لا شكّ فيه أنّ الكيان الصهيونيّ ركّز كثيرًا على الإرادة السياسيّة العالميّة التي تَضْمن حمايتَه وتغطيتَه لجرائمه، وهو ما يجب أن نتنبّه إليه، وأن نَسْعى إلى التأثير فيه. والمقاومة والصمود عنوانٌ أساسٌ في التأثير في هذه الإرادة العالميّة.

«إنّ المقاومة هي العامل الأهمّ في توحيد الشعب الفلسطينيّ»: تظاهرة الوحدة الوطنيّة في غزّة (٢٠ يناير، ٢٠٠٢)

١١ ـ عن خطر المقاومة المسلّحة على الوحدة الوطنيّة الفلسطينيّة:

أتعجّب كثيرًا من المقارنات التي تسجّل أحيانًا، كأن يقال: «إمّا مقاومة وإمّا وحدة وطنيّة.» وفي هذا السياق يجب أن يَفْهم الجميعُ أنّ المقاومة هي العاملُ الأهمُّ في توحيدِ الشعب الفلسطينيّ، في حين شكّلتْ عمليّةُ التسوية ـ وما زالت تشكّل ـ أهمَّ عاملٍ في تمزيق وحدته وتفتيت صفّه الداخليّ. وما جرى في الفترة ١٩٩٦ ـ ٢٠٠٠ كان مثالاً واضحًا على هذا الأمر.

إنّ الشعب الفلسطينيّ اليوم يقف أمام اختياريْن:

١ ـ إمّا أن يحافظَ على وحدته الوطنيّة ويستخدمَ لذلك كلّ إمكاناته وعناصرِ قوّته الذاتيّة، وفي مقدّمتها المقاومة.

٢ ـ وإمّا أن يَقْبل بتدمير الوحدة الوطنيّة من خلال عمليّة التسوية والتنازل أمام العدوّ.

ولكي يحافظ الشعبُ الفلسطينيُّ على وحدته ويستمرَّ في مقاومته فلا بدّ من برنامج وطنيّ عامّ يحدّد الثوابتَ والإستراتيجيّةَ والمسارَ، وينتظم الأداءَ الفلسطينيّ من خلاله. وهذا ما ندعو إليه ونَسْعى إليه. ونَعْتقد أنّ المقاومة ستكون في نهاية المطاف سبيلَ النصر والتحرير.

بيروت